

التنمية ومخاطر التّهجير

غلويسيا بوير وماثيو ماكينون

للتغير المناخي آثار لا يُستهان بها على حالات الطوارئ قد يغفلها أحياناً تحدي التنمية. ومع ذلك، يُحدث تغير المناخ أنماطاً نظامية من التدهور الاجتماعي والاقتصادي تؤثر بدورها على عوامل التّهجير بسبب الكوارث وتستلزم وجود استجابات موازية لها.

من المعروف على نطاق واسع أنّ غالبية الأشخاص المهجّرين يعيشون في مستوى خط الفقر أو دونه وأنّ الفئات ذات الدخل المنخفض تتأثر على نحو غير متكافئ بالكوارث المرتبطة بالطقس. وعلاوة على ذلك، إذا ما جئنا عامل الكوارث نجد أنّ ثمة مجموعة من العواقب المختلفة المرتبطة أيضاً بالمناخ المتغير تُضعف عامل المرونة وخاصة عند مزارعي الكفاف ما يجعلهم أكثر استضعافاً. وبهذا تعد هذه العواقب دافعاً قوياً للهجرة من الريف إلى الحضر؛ وحتى إن أمكن تجاوز المسائل المناخية تتجاوزاً كبيراً بفعل المبررات "الاقتصادية" التي تقدمها تدفقات المهاجرين، سينتهي المطاف غالباً بكلنا فئتي المهاجرين في الأحياء الفقيرة نفسها.^١

وفي حين تقدم المجتمعات الريفية المنهكة مناخياً في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وأمريكا الجنوبية وآسيا وحتى في الشرق الأوسط إمدادات جاهزة من السكان الجدد إلى الأحياء الفقيرة الحضرية، لا تتأثر المناطق المماثلة جغرافياً في جنوب غرب الولايات المتحدة أو في أستراليا مثلاً على النحو نفسه على الرغم من الضغوط المناخية المشابهة التي تتعرض لها هذه المناطق. وتبرز هذه الحقيقة أهمية قدرة المجتمع المحلي الاستيعابية وأنظمة الحكم في التعامل مع مثل هذه التغيرات المناخية.

التجديد الريفي

وُضعت مجموعة واسعة من الإجراءات والمقاربات للتكيف مع تغير المناخ مثلما هو بارز في الأنشطة الموسعة التي تنبأت بها برامج العمل الوطني للتكيف.^٢ ومع ذلك، في مجتمعات الكفاف المسيطرة، العامل الرئيسي الذي يعوق تحقيق الاستجابات غياب وسيلة يُعتمد عليها لبدء هذه الإجراءات، وإدامتها. ويتطلب استخدام بذور ذات جودة أعلى وأكثر مقاومة للجفاف ووجود مرافق مياه أفضل أو أنظمة أرصا حوية يمكن أن يغطيها التأمين المتناهي الصغر من بين جميع المبادرات الأخرى بلا استثناء نفقات يصعب توفيرها ما يعرقل إمكانية الوصول لمن هم من أكثر القادرين على تقديم المساعدة.

لا تتطلب جميع مبادرات التكيف مع تغير المناخ موارد لكنّ زيادة القدرة الاستيعابية واستخدام المقاربات القائمة على المرونة من شأنها زيادة نطاق الاستجابات المتاحة زيادة كبيرة.

من المعروف على نطاق واسع أنّ غالبية الأشخاص المهجّرين يعيشون في مستوى خط الفقر أو دونه وأنّ الفئات ذات الدخل المنخفض تتأثر على نحو غير متكافئ بالكوارث المرتبطة بالطقس. وعلاوة على ذلك، إذا ما جئنا عامل الكوارث نجد أنّ ثمة مجموعة من العواقب المختلفة المرتبطة أيضاً بالمناخ المتغير تُضعف عامل المرونة وخاصة عند مزارعي الكفاف ما يجعلهم أكثر استضعافاً. وبهذا تعد هذه العواقب دافعاً قوياً للهجرة من الريف إلى الحضر؛ وحتى إن أمكن تجاوز المسائل المناخية تتجاوزاً كبيراً بفعل المبررات "الاقتصادية" التي تقدمها تدفقات المهاجرين، سينتهي المطاف غالباً بكلنا فئتي المهاجرين في الأحياء الفقيرة نفسها.^١

تفرض الأيام شديدة السخونة ومواسم الجفاف الطويلة والقاسية وقلّة هطول الأمطار عموماً ثم انهماهما بغزارة فجأةً ضغوطاً لا يُستهان بها على المجتمعات الريفية منخفضة الدخل. ويعاني مجال الصحة، على سبيل المثال، من الظروف المواتية بشدة لانتشار الأمراض المنقولة عن طريق الغذاء والماء والحشرات. وتقلص مواسم الزراعة القصيرة وقليلة التوقعات إضافة إلى قلة هطول الأمطار وزيادة معدل الفيضانات المحاصيل الزراعية في حين يقلل زيادة عدد الأيام شديدة الحرارة من إنتاجية العمل في الهواء الطلق (الغالبية العظمى من جميع أعمال مجتمعات زراعي الكفاف) وتجعله أكثر خطورة بسبب الإرهاق والجفاف. وبزيادة صعوبات زراعة المحاصيل والعمل التي تعرقل المزارعين، يطل انعدام الأمن الغذائي برأسه وتتزايد معدلات سوء التغذية لدى الأطفال في الوقت نفسه.

القدرة الاستيعابية لأنظمة الحكم تحدد المرونة

مثل تلك الظروف الصعبة شائعة في المجتمعات الريفية في جميع أرجاء المناطق المدارية النامية. والمستضعفون تحديداً هم الدول والمجتمعات التي تحتل فيها إسهامات القطاع الزراعي نصيب الأسد في الناتج الاقتصادي أو من مساحة القوى العاملة فيها والتي تشمل على أعداد كبيرة أيضاً من

أيار/ مايو ٢٠١٥

تدهور المناطق الريفية في المنطقة الشرقية العليا بغانا

تؤثر الخسائر في الدخول الخاصة بالمثل على قطاع الخدمات العامة، ويمثل تراجع الاستثمارات في البنية التحتية المحلية للمياه مشكلة على وجه الخصوص لأنها تقلص مساحة الأراضي المتاحة الصالحة للزراعة أثناء موسم الجفاف ما يدفع مزيداً من الناس إلى الهجرة موسميًا. ولا يمكن إنكار مؤشرات وجود الضغوط المجتمعية أيضاً. فمثلاً، يرعى مالكو المزارع الصغيرة عدداً قليلاً من الماشية ويعهدون أيضاً بعدد قليل آخر إلى رعاة الماشية الرحل من قبيلة الفولاني التي ترد على الأراضي الهامشية في المنطقة. وفي ضوء الاعتماد سابقاً على المنفعة المتبادلة لخدمات الرعي مقابل الغذاء أو الدخل، أظهر نقص هذا النوع من التبادل كيفية انتقال صدمات سبل كسب الرزق التي تواجهها المجتمعات المستقرة من خلال القنوات الاقتصادية لتضر بالعلاقات الاجتماعية التقليدية.

تتجلى آثار زيادة درجات الحرارة على مجتمعات الكفاف بشدة في هذه المنطقة من غانا التي كانت في يوم ما سلة خبز البلاد. ومن أساليب تعويض قصور مواسم الزراعة أو القدرة الإنتاجية توسيع مساحة الرقعة الزراعية ولكن ذلك غالباً ما يأتي على حساب الأشجار وعلى حساب التنوع البيولوجي ووجود الأرض ومساحة الظل التي يتمتع بها المزارعون وتحتاجها المحاصيل. وتساهم إزالة الغابات والأشجار وتدهورهما في زيادة تغير المناخ بفعل فقدان نقاط امتصاص الكربون وفي قسوة مسببات الاستضعاف أيضاً، مثل: رفع درجات الحرارة المحلية وزيادة مواسم الجفاف وكثرة معدل الفيضانات. وعلاوة على ذلك، ما زالت حتى الآن أقل الأراضي إنتاجية المناطق الوحيدة المزروعة ما يعني أن نقص المحاصيل سيأتي بعواقب وخيمة.

على تحديات الحاضر المتزايدة الكامنة في النُزوح المطوّل وذلك من خلال طرح المبادرات، مثل: تحالف الحلول وخطة الاستجابة الإقليمية لسوريا والصمود الإقليمي للاجئين السوريين.^٣

وتواجه الدول والمجتمعات الأكثر استضعافاً للتغير المناخي تحدياً كبيراً في التغلب على اتجاه تدهور الحالة الريفية وضغوط الهجرة في ضوء تسارع التغيرات البيئية والمناخية. وسيطلب فهم الطبيعة المتغيرة للنُزوح المتعلق بتغير المناخ التفكير في التنمية وإدراك أهمية الاستجابات الإنمائية الفعّالة في الوصول إلى الحلول المستدامة لمثل هذه التحديات.

غلوسيا بوير glaucia.boyer@undp.org متخصصة

في سياسات الحلول الإنمائية للنُزوح وماثيو ماكينون matthew.mckinnon@undp.org متخصص في منتدى دعم المستضعفين جراء التغيرات المناخية في مكتب السياسات ودعم البرامج التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

www.undp.org/content/undp/en/home/ourwork/climate-and-disaster-resilience/overview.html

الخاتمة

حرص برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على جعل المرونة في مواجهة تغير المناخ والكوارث الطبيعية محورية في خطته الاستراتيجية للأعوام ٢٠١٤-٢٠١٧. ويهتم كذلك البنك الدولي اهتماماً متزايداً بأليات التكيف مع تغير المناخ وتخفيف حدته. وقد كان برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أيضاً مشاركاً رئيسياً في الجهود المبذولة لتقديم حلول التنمية للتغلب

١. انظر مجلة الهجرة القسرية، العدد 34 "التأقلم مع النزوح في المناطق الحضرية" ص www.fmreview.org/ar/urban-displacement

٢. راجع مقال وايزن وآخرون، صفحة 8-9

٣. www.3rpsyriacrisis.org و www.solutionsalliance.org

ملحوظة: سيغطي العدد 51 من نشرة الهجرة القسرية هذا الموضوع؛ انظر www.fmreview.org/ar/solutions